1-مفهوم الرؤية الكونية:

الموت والحب والجمال والأخوة موضوعات هامة في شعر أبي ذؤيب الهذلي يستشف المتأمل إذا ما أنعم النظر فيها، فكرًا جديدًا ذا طبيعة فلسفية يتألق أحيانا في رسالة أبي ذؤيب الهذلي. وإذا ما تجسد هذا الفكر في محاولة لابتكار بعض المفهومات، في قالب الشعر نفسه، فما ينبغي أن ننسى أن أبا ذؤيب الهذلي يحاول أن يثير، لأنه شاعر،عاشا حالة نفسية فنيا، وأن ينقلها إلى درجة المتعة.

و مشروعه النظري الذي عرض فيه للجمالية يكمن في التلاقي بين الفن والفلسفة، وهذا المشروع يجسد في الحقيقة، المبادئ الأساسية التي قادت حقيقة نظرته الفلسفية، وكل شعر، فضلا عن ذلك هو معرفة لا تحاول الفهم أو الإفهام بوساطة التحليل والتصنيف في زمر، وإطلاق الأحكام، فالشعر كما يقول "**أونيموس**" (Onimus)[1] هو الوجود الذي يُدْرَك بالفكر، ويُوضع في صور وأشكال بل يمكننا القول إنّ الشعر ليس صراع من طراز تقني فقط، وإنما هو أيضا شكل للحياة الفكرية تعاني، وسنرى ذلك في الفعل الخلاق الذي تعبر عنه الرسالة الشعرية،وتكمن في التجربة التي توجه عمله الفني البحث.

«ففي خلقه لقصيدة توجد يقظة فكرية، واعية نقدية، إرادية، قد يكون التأليف من دونها شيئا آخر تماما.

ما تعني الحياة الفكرية لكاتب من الكتاب؟ أ ليست رؤيته للعالم؛ أي استخدامه حتى دون أن يفكر في ذلك، لجمهرة من المفهومات وضعَتْها تحت تصرفه الفئة، الاجتماعية التي ينتمي إليها؟ أليست بكلمات أخرى، الرؤية التي أعنتها هذه الفئة على مدى وجودها، والتي تتضمن الوسائل المفهومية التي تسمح لها بأن تحل، تبعا لأصالتها،

[1]- الموقع الإلكتروني: http://www.dahsha.com. 15/03/2013 . 09:30

القضايا التي تفرضها عليها الحياة المشتركة ومجابهة العالم؟»[1] هذه الوسائل المفهومية ليست، كما يقول "**لينهارت**" سوى «أنظمة من القصائد والأساطير والفلسفات»[2]، أي وسائل للتحري في العالم.

وهذا لا يختلف في شيء عن قولنا إنه لمن المستحيل على فرد واحد أن يكون لنفسه وحده رؤية كاملة البنية، وأن هنالك علاقة عضوية تربط على صعيد بني التفكير بين الكاتب والفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

ولكن هل في وسعنا الإدعاء مع بعض الماركسين، أن الكاتب لا يفعل سوى نقل رؤية هذه الفئة للعالم بطريقة ما، وبناء العالم من جديد وفق رسم أولي (Scheme) ألفه، لا يفعل سوى استلابه باستخدامه رؤية لم يكن له يد في اختراعها؟

إذا ما كان حقا أن الكاتب يرث من اللغة التي يصطنعها قسطا كبيرا من التجربة التي تبلورت فيها وأن تكوين فكرة الكاتب يعتمد اعتمادًا كبيرًا من حيث دلالة الأثر على العالم الفكري الذي عاش فيه فليس بأقل–حقا–في رأينا–أن رؤية الجماعة هذه تكون جزءًا لا يتجزأ من تاريخ حياته الخاص، لأنه عاشها يوميا ولكنه يخترعها بطريقة تتفاوت أصالة حسب قدرته الخلاقة ففي هذه الرؤية يتقولب في الحقيقة عالم المبدع الخيالي، العالم الذي تعبر فيه فردية الكاتب بحرية عن ذاتها عالم قدرته الإبداعية. [3]

وهذه هي حالة أبي ذؤيب الهذلي تعبير حرفيا عن التجربة التي عاشتها جماعته، ولا يتصور تصويرا فوتوغرافيا رؤية هذه الجماعة والحلول التي أوجدتها للقضايا الناجمة عن حياتها المشتركة واحتكاكها بالعالم، وإنما تتمثل بالأحرى هذه الرؤية حسب أصالته ليقترح علينا رؤية جديدة وقد نستطيع القول كلما كان الانحراف كبيرا بين رؤية الكاتب ورؤية جماعته، كانت رؤيته أكثر أصالة.

---

[1]– موقع السابق.

[2]– الموقع نفسه.

[3]– الموقع نفسه.

وبطبيعة الحال إنّ النقد الذي يلتزم هذا المسلك ويحاول توضيح رؤية كاتب ما بدراسة الأثر وبالالتجاء إلى بعض نقاط الاستناد الخارجية التي تقوم على رؤية اجتماعية، يبدو نوعا من التوضيح لرؤية كونية على تماس برؤية أخرى متخيلة هي حقيقة جمالية، ويكشف للقُراء عن أسرار كتابة ما، وعليه فقد آن الأوان لتوضيح المظهرين كليهما بمعالجة الأثر الذي أنشاءه أبي ذؤيب الهذلي بخاصة صوره التي تبلور على أحسن وجه عالمه الخيالي تصويريا كان أم حدسيا.[1]

والقدرة المطلقة التي تتمتع بها سلطة العقل في نظريته تقوم بعملها معتمدة على تحرى دائم يفتش عن رؤية للإنسان في علاقاته مع الكون وهي رؤية درامية تؤكد للفنان دورا ساميا بين العناصر التي تؤلف هذا العالم والقوى التي تسيطر على قصائده، وعليه فلنحاول أن نعرف كيف كان أبي ذؤيب الهذلي يتخيل العلاقات بين العناصر التي تسوس الكون[2].

في علم المنطق مرحلة البحث عن "المبادئ التصويرية" (التعريفات) متقدمة على مرحلة البحث عن سائر المسائل وبما أن علم المنطق هو من العلوم الأولية (أي تتكفل ببيان الطرق العامة الصحيحة التي يتوصل بها الفكر إلى الحقائق المجهولة) فيصبح عندئذ البحث عن التعريفات في بداية كلامنا ضروريا فنقول:

الدين في اللغة: بمعنى الطاعة والجزاء.

وأما في الاصطلاح: فتعني الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالتعاليم والأحكام العملية الملائمة لهذا الإيمان.

ومن هنا أطلقت كلمة اللادينيون على أولئك الذين لا يؤمنون بالخالق إطلاقا بل يؤمنون بالصدفة والاتفاق في خلق الظواهر الكونية أو إنها معلولة للتفاعلات المادية

---

[1]– موقع سابق.

[2]– الموقع نفسه.

والطبيعية، أما كلمة الدينيين فتطلق على أولئك الذين يؤمنون بخالق الكون وإن اختلطت معتقداتهم وممارساتهم وطقوسهم الدينية ببعض الانحرافات والخرافات والأساطير وعلى هذا الأساس تنقسم الأديان التي يؤمن بها البشر إلى الأديان الحقة والدين الحق عبارة عن المبدأ الذي يشتمل على المعتقدات الصحيحة المطابقة للواقع وإن التعاليم والأحكام التي يدعو إليها تملك رصيدا كافيا لصحتها واعتبارها (مخطط 1-أ-)[1].

ويظهر جليا أن الدين بحسب الاصطلاح يتألف من قسمين رئيسين:

1. العقيدة أو العقائد التي تمثل الأساس والقاعدة وتسمى الأصول.
2. التعاليم والأحكام العملية الملائمة لذلك الأساس أو الأسس العقائدية والمنبثقة في واقعنا من تلك الأسس.

كما استخدمها أيضا علماء المسلمين. [2]

ومنه الرؤية الكونية عبارة عن مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان بل حول الوجود بصورة عامة.

[1]- الموقع الإلكتروني: http://ar.wikipidia.org 15/03/ 2013 . 09:30

[2]- الموقع نفسه.

(المخطط1-أ)

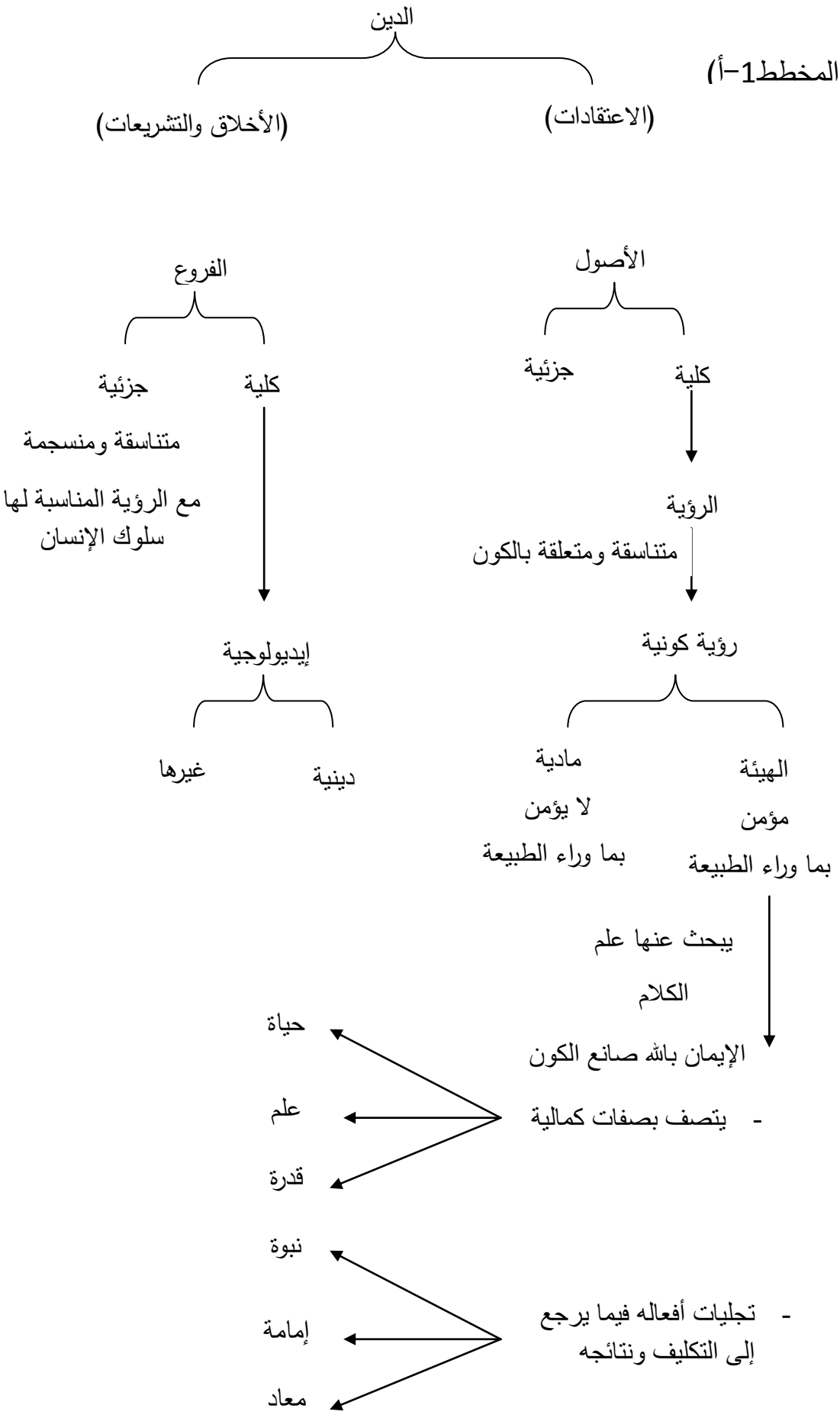
الدين
(الاعتقادات)
(الأخلاق والتشريعات)
الأصول
كلية
جزئية
الفروع
كلية
جزئية
متناسقة ومنسجمة
مع الرؤية المناسبة لها
سلوك الإنسان
الرؤية
متناسقة ومتعلقة بالكون
رؤية كونية
إيديولوجية
الهيئة
مؤمن
بما وراء الطبيعة
مادية
لا يؤمن
بما وراء الطبيعة
دينية
غيرها
يبحث عنها علم
الكلام
الإيمان بالله صانع الكون
- يتصف بصفات كمالية
حياة
علم
قدرة
- تجليات أفعاله فيما يرجع
إلى التكليف ونتائجه
نبوة
إمامة
معاد

1. تطور المصطلح:

يرجع السبب في تطور وانتشار المصطلح وتقديم تصورات أخرى يرجع إلى علماء الإجماع والأنثروبولوجيا علماء "**ماكس فيبر**" (Maxwe) ولقد نجم عن توسع في استخدام مصطلح ظهور مصطلحات أخرى تتداخل معانيها ومن هذه المصطلحات نظرة أو رؤية وصورة وتوجيه معرفي ومنظور رؤية العالم ومبادئ متضمنة وافتراضات أساسية ونقد الدراسات التحليلية التي قام بها "**ماكس**" لرؤى العالم عند أصحاب المذهب البروتستانتي ويرى "**فيبر**" أن رؤى العالم كان لها أثر عميق في تأسيس المذهب البروتستانتي في القرنين 16و17م، ورؤى العالم لديهم تفسر الأمور الدنياوية من خلال مضمون ديني وهي تفسر الكون أو الألم للمبادئ التالية:

1. أن الكون قد خلقه إلها متسام متعال.
2. أن الكون له معنى من خلال علاقته بإرادة الله.
3. النظرة للإنسان علي أنه وسيلة تتأسس بها إدارة الله على الأرض.
4. الناس لديهم قابلية لارتكاب المعاصي طالما هم منغمسون في الملذات الحسية.
5. الإيمان بالقضاء والقدر واعتبار الخلاص منحة وعطاء من الله.

ويرجع الفضل إلى "**روبرت ردفيلد**" في بلورة تطور رؤية العالم وتحديد معناه وخصائصه ويعتمد في ذلك على عناصر هي:

- ✓ الذات: وهي تعبير محور روي العالم التي من خلالها يمكن ملاحظة العالم أو الكون.
- ✓ تحير الذات ويشمل على: سائر البشر، غير البشر.
- ✓ المكان.
- ✓ الزمان. [1]

[1]– الموقع الإلكتروني: http://ar.wikipidia.org

دارت بحور العالم حول محورين أساسين هما:

- إدراك الذات لذاتها بكل مقوماتها الفيزيولوجية والعاطفية والانفعالية وعلاقتها بالآخرين من أعضاء الجماعة وتحديد أوجه التشبيه والاختلاف وبينه وبين الآخرين ببعضهم البعض وأسباب هذه الشبهات أو الاختلافات.
- أما المحور الثاني: فهو نظرة الشخص أو الذات أو موضوع الدراسة إلى نفسه بأنه يؤلف كيان متميز وقائم بذاته وخارج عن هذه الطبيعة وإن كان ذلك لا يمنع أن تكون له اهتمامات معينة بالإضافة إلى دراسة عديد من الميادين مثل: إدراك الذات للكائنات والموجودات الغير بشرية كما تتطرق إلى عنصري الزمان والمكان[1].

إن رحلة اكتشاف الكون أو العالم أو الحياة، رحلة المعرفة الشاقة وتذوق ثمرها المر الجميل ... لم تنطفئ شعلة الشوق إلى المعرفة في النفس الإنسانية يوما، ولكن اكتساب المعرفة شاق وعسير كهذا الرحيل أو الطواف الذي يحدثنا عنه الشاعر الجاهلي. وقد كان البحث عن المعرفة هم الإنسان منذ قديم الدهر، وظل قلق السؤال يؤرقه على امتداد الزمن، فقد أفني "جلجامش" جل عمره يبحث عن سر الخلود، وسر الحياة والموت، ويجوب الأفاق لمعرفة هذه الأسرار نحو ما تصوره الملحمة المعروفة بإسمه، وهي من أقدم الملاحم التي وصلت إلينا، وإنما أسوق لك هذا الكلام كي لا تحصيني بما تراكم في الكتب المدرسية التي تصور هؤلاء الجاهلين بسطاء سذجا لا يكاد تفكيرهم يجاوز ظلال رواحلهم وسيوفهم ولا يكاد همهم يتعدى مساقط الغيث ومنابت الكلأ إلا في النادر القليل الذي لا يعتد به، ولا يقاس عليه، فكأن الله تعالى خصهم وحدهم بهذا الاطمئنان العقلي الكاذب، أو بهذا الخمول العقلي دون سائر خلقه. كما ذكر الكون في القرآن الكريم في مختلف السور. [2]

---

[1]– ينظر:موقع سابق.

[2]– وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1996، ص272.

قوله عز وجل : ﴿فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[1]

ومعنى الآية أن قبيل طوعت له نفسه قتل أخيه الذي يقتضي الشرع وطبع احترامه فقتله وأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم فلما قتله لم يدر كيف يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم فبعث الله غراب آخر فاستغرب كيف لا يكون مثل هذا الغراب الذي يعرف التصرف[2].

1_ المائدة: الآية 31.

2– عبد الرحمن بن ناصر ،تيسير الكريم الرحمان، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ،ط1، 2003،ص207.

2. خصائص المصطلح:

ومن خصائص هذا المصطلح ما يلي:

- أولها: أن العرفان النظري يعتمد منهج الشهود القلبي الوجداني في تحصيل المعارف الإلهية وهذا المنهج يستخدم السير والسلوك الذي يتمثل في تصفية الباطن وتطهير السر مع التوجه التام للحق تعالى.
- والثاني: أن نمط المعرفة في الرؤية الكونية التي يقدمها العرفان النظري هو المعرفة الحضورية الكنهية، وتتمخض عن معرفة نفس المعلوم لا صورة المعلوم، بخلاف نمط المعرفة الفلسفية والحسية حيث هو المعرفة الحصولية الصورية، ولا تنتج أكثر من معرفة صورة المعلوم ولا ترقى إلى معرفة نفس ذاته.
- وثالثها: أن العرفان النظري يرى في ما يخص قضية تفسير الوجود التي هي الركن الأساسي في الرؤية الكونية العرفانية أن وجود الحق تعالى هو الوجود الحقيقي الذي لا يقابله أي وجود، بل أن وجود جميع ما سواه من الموجودات هو وجود اعتباري، لا استقلال له عن الوجود الحق.
- رابعها: يرى العرفان النظري فيما يخص قضية تفسير الوجود الإمكاني والنظرة إلى العالم أن العالم هو الوجود الاعتباري الذي ليس له استقلال عن وجود الحق تعالى ومن مظاهر أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم، وأن هذا العالم له مراتب بعضها أعلى وبعضها أدنى هي مراتب تجلي الحق في العالم[1].

ومصطلح الرؤية هو ترجمة للمصطلح الألماني ويقوم المفهوم في أساسه على دراسة مجموعة الأفكار التي يعتنقها أحد أفراد المجتمع هو وعن الآخرين وعن العالم الذي يعيش فيه، مما يعني تحيد الأفكار داخل الثقافة ذاتها وليس من خارجها كما هو الشأن

[1]– الموقع الإلكتروني: http://www.algaaen.com

في الدراسات الأنثروجغرافية[1]، والأنثروبولوجيا[2] التقليدية والعادة أن يشار إلى ذلك الفرد في دراسات رؤى العالم بكلمة الشخص أو الذات وعلى ذلك فإن استخدام المفهوم يقتضي إبراز الذات في مواجهة الكون بأسره وبكل مشتملاته ومكوناته، وبتعبير آخر فإن مفهوم رؤية العالم: هي الطريقة التي ينظر بها شخص ما أو شعب ما إلى الكون ككل والتي يرون من خلالها هذا الكون[3].

الرؤية الكونية أو رؤية العالم مصطلح بدأ في الفلسفة الألمانية ليدل على مفهوم أساسي مستخدم في هذه الفلسفة والأبستمولوجيا وتشير إلى طريقة "الإحساس وفهم العالم بأكمله".

وبالتالي يمثل الإطار الذي يقوم من خلاله كل فرد برؤية، تفسير العالم المحيط والتفاعل معه ومع مكوناته ويعد مفهوم رؤية العالم "أحد المفاهيم الأساسية التي شاع استخدامها في البحوث والدراسات الأنثروبولوجية الثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينيات من هذا القرن، إلا أن المفهوم عاد وأوى إلى الظل من جديد خلال عقدي الستينيات والسبعينيات وهجرة العلماء ليعودوا إليه من جديد يستعينون به في تحليل المواد الأنثروجغرافية المتعلقة بوجه مقدرات وثروات المجتمعات والشعوب التي وقفت في مرحلة متأخرة من التقدم العلمي والصناعي[4].

انتقل مفهوم رؤية العالم إلى علماء الأنثروبولوجيا لكن في أواخر القرن 19 ومن ذلك ارتبطت هاته الدراسات بالأنثروبولوجيا الأمريكية ودراسات رؤي العالم، إذن تنتمي

1- الأنثروجغرافية: علاقة الإنسان بالمكان.

2- الإنثروبولوجيا: هي علم الإنسان.

3- الموقع الإلكتروني: http://www.ar.wikipidiz.org

4- الموقع نفسه.

إلى مجال العلم الإنساني وليس إلى مجال العلم الطبيعي سواء في النظرية أو المنهج أو الأسلوب[1]، كما أنها لا تناشد العلمية بصفة مطلقة بل بمحاولة الفهم بطبائع الأشياء أو بداخلها ولذلك فإن مفهوم رؤى العالم يتعارض مع إمكانية تطبيق منهج علمي الذي لا يصلح للأفكار الإنسانية "أما في الأدب فإن لغته وبنيته الحركية هي التي تحفر في آلية الحركة الكونية طريقا لحركة إنسانية خارقة"[2].

1- الموقع السابق: http.//www.ar.wikpidiz.org

2- خالدة سعيد: حركة الإبداع، دار العودة ، بيروت، ط2، 1979،ص192.